أدب الخيال العلمي والانتقال في آفاق الزمن

الخيال العلمي كما هو معروف نوع من أنواع الأدب الذي يعتمد بشكل أساسي على الخيال، ويخلق الروائي على هذا الأساس عالم خيالي غير موجودة في الواقع معتمداً على نظريات وفرضيات علمية وفيزيائية وبيولوجية وتقنية وتكنولوجية مختلفة نتائجها مما يجعل من الأمور أكثر تشويقاً بالنسبة للمهوسيين بالنظريات الفيزيائية والتكنولوجية .. كما أنها تحمل معها جانب فلسفي لتحدثنا ما ستكون عليه الحياة إذا تحققت بعض من هذا النظريات.

ربما البعض يعتقد أن الخيال العلمي مجرد خيال بحت ابتدعه الكاتب ولا وجود لكل ما ذكره، ولن يكون له وجود مهما طال الزمن .. لكن الحقيقة غير ذلك تماماً.

ويعتمد أدب الخيال العلمي كثيراً على النظريات العلمية وكثير من القوانين الطبيعية، وهو طريقة من الطرق التي تساعد على فهم العالم من خلال رواية القصص، وجميع الأحداث في الخيال العلمي تكون في المستقبل أو في واقع غريب غير مألوف .

الخيال العلمي: هو الانتقال في آفاق الزمن، على أجنحة الحلم المطعم بالمكتسبات العلمية، وغالباً ما يطرق مؤلفو قصص الخيال العلمي science fiction أبواب المستقبل بتنبؤاتهم من دون زمن محدد. وفي قصص الخيال العلمي نظرة واسعة إلى العالم يدخل فيها العلم فيمتزج بحقائقه مع خيال الكاتب، وتُرسم أحداث تنقل القارئ إلى المستقبل، أو الماضي السحيق، فتثيره وتذهله.

والرابطة بين العلم والخيال رابطة مؤطّرة متماسكة، ومن يكتب في هذا النوع من الأدب لا ينجح إلا بثقافة علمية ممتازة يستخدمها في أحداث قصصه ورواياته.

الرواد الأوائل للأدب العلمي

بعد الكاتب الفرنسي جول فيرن Jules Verne الأب المؤسس لقصة الخيال العلمي، وقد كتب أول أعماله (خمسة أسابيع في منطاد) في فرنسا (1863)، ثم أتبعها بروايته (رحلة إلى جوف الأرض) Journey to the Center of the Earth (1864) وبعدها كتب رائعته (من الأرض إلى القمر) 1865 التي تخيل فيها رحلة إلى القمر. ولكن هذا الخيال من الرواية تحقق بعد قرن وبالتحديد في 20 تموز 1969 إذ هبط أول إنسان على القمر.

كتب فيرن كثيراً من الأعمال في الخيال العلمي إضافة إلى ما ذكر، ومن بين ما كتب (عشرون ألف فرسخ تحت الماء) Twenty Thousand Leagues Under the Sea (1870) حكى فيها عن غواصة تنتقل تحت الماء. وفي عام 1877 كتب روايته (هكتور سيرفاداك) التي تتحدث عن مذنب يقتطع قطعة من كوكب الأرض، وترافق هذه القطعة المذنب في رحلته حول الشمس. وكتب فيرن أيضاً قبل عام واحد من وفاته روايته (سيد العالم) 1904، وفي روايات فيرن خيال مجنح غلب عليه المنطق العلمي، وهذا ما جعله أشبه بنبوءة علمية. فقد تخيل في روايته (من الأرض إلى القمر) انطلاق محطة فضاء من الأرض إلى القمر بوساطة مدفع هائل الطول هبطت على القمر. ووصف الرواد سطحه والمناظر من فوقه وعادوا إلى الأرض حيث هبطوا بمظلة في البحر، بطريقة شبيهة بما فعله رواد المركبة الفضائية أبولو – 11. كما كتب جول فيرن عن الغواصة ووضع وصفاً لها، وكتب عن الطائرات النفاثة والصواريخ بعيدة المدى والغوص في أعماق المحيطات، وكلها تنبؤات تحولت إلى حقيقة في العصر الحالي.

إلى جانب فيرن الفرنسي يعد الكاتب الإنكليزي هربرت جورج ويلز H.G.Wells (1866 – 1946) الملقب شكسبير الخيال العلمي، كما وصفه النقاد. وهو أشهر روائيين حوّلت أعمالهما إلى أفلام سينمائية .

وقد ولد ويلز في برومولي وهي ضاحية من ضواحي لندن عام 1866 وكتب أول رواياته العلمية الخيالية (آلة الزمن) The Time Machine عام 1895 وتعد أعظم روايات الخيال العلمي على الإطلاق، وفيها يتخيل أن بطله صنع آلة حين يدير عجلتها يستطيع أن يقفز فوق الزمن، يعود إلى الماضي أو يخترق المستقبل لسنين بعيدة، بحسب الجهة التي يدير بها العجلة. تخيل ولز في آلة الزمن أن مصير الإنسانية التي انغمست في الدعة والسلام وقنعت بالعافية من الهموم، سيكون قاسياً، فحين ينتقل بطل الرواية إلى المستقبل بعد أن يدير عجلة آلته، فإنه يرى البشر وقد تحولوا إلى قبائل بدائية ضعيفة حركتهم خابية، وجمالهم كاذب، جندوا لخدمة قبائل (المرلوك) المتوحشة، التي تستوطن الكهوف والسراديب وشقوق الأرض، بعيداً عن الضوء. ويبلغ به الحزن حد الفجيعة

(عشرون ألف فرسخ تحت الماء) للكاتب جون فيرن

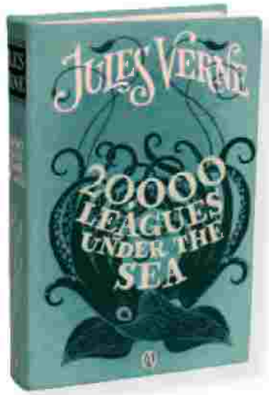

وهو يرى فناء الذكاء البشري، وكيف آل أمره إلى الانتحار على يد الإنسان الذي خلد إلى حياة المذلة والنعيم.

وفي عام 1901 كتب روايته (رجال القمر الأوائل) The First Men in the Moon وكان قد كتب قبلها روايته المشهورة أيضاً (حرب العوالم) The War of the Worlds 1898، و(طعام الآلهة) The Food of the Gods (1904) وبعدها بعام (اليوتوبية الجديدة) Modern Utopia تلتها أعماله الكثيرة المنوعة في قصص الخيال العلمي.

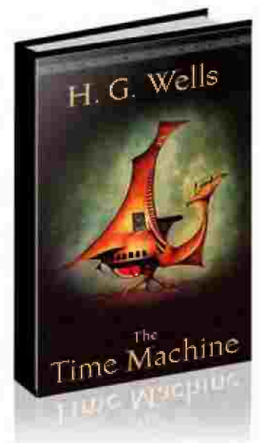

(آلة الزمن) للكاتب هربرت جورج ويلز

واتسع انتشار أدب الخيال العلمي في العالم، وأصبح يفرض نفسه على النماذج الأدبية الجديدة، وكثر النتاج الغث لبعض الكتّاب الذين أخذوا يكتبون من دون ثقافة علمية كتباً غلبت عليها الخرافة وشطحات المبالغة البعيدة عن المنطق العلمي، وأصبح أدب الخيال العلمي أحياناً صرعة لدى بعض الكتاب الذين رأوا فيه منفذاً إلى عوالم الجنس والحبكات البوليسية والخرافية.

ولكن تلك الكتب التجارية اصطدمت بنقاد كانوا أقسى من نقاد الفنون الأدبية الأخرى، لأنهم وجدوا فيها خطورة على الأجيال الناشئة. ومع ذلك فإن الأدب الحقيقي يظل فاعلاً وله استمراريته. ففي عشرينيات القرن العشرين كتب تولستوي Tolstoy عن رحلة إلى المريخ في (آيليتا) كما كتب عن آلة جبارة تثقب الأرض وتستخرج الذهب من باطنها (هيروبوليد المهندس غارين) وكتب عن الطبقات الداخلية للأرض والنفوذ إليها وعن المفاعل النووي بوجه قريب للحقيقة.

ويحتل إسحق عظيموف Isaac Asimov مكانة وثيقة بين كتاب الخيال العلمي لخياله الواسع ومعرفته العلمية

(رجال القمر الأوائل) للكاتب جورج ويلز

(حرب النجوم) للكاتب والمخرج جورج لوكاس

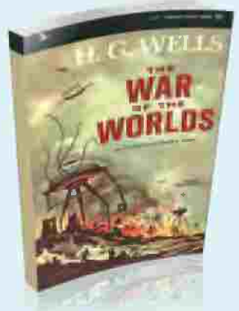

(حرب العوالم) للكاتب جورج ويلز

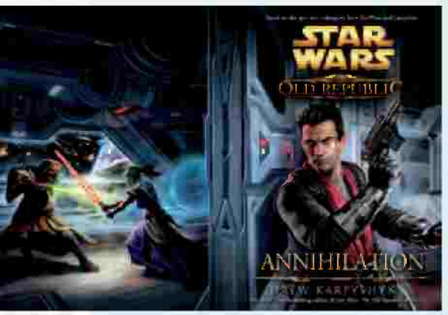

ملصق لفيلم حرب النجوم

الخيال العلمي في السينما والتلفزة والصحافة:

لعل أول أفلام الخيال العلمي التي ظهرت في السينما الفيلم الذي أخرجه جورج ميليس عام 1902، وهو فيلم صامت بطول ست عشرة دقيقة، وقد استوحى قصته من رواية فيرن (من الأرض إلى القمر) وقصة ويلز (رجال القمر الأوائل). وقد أظهر الفيلم المعارك بين القادمين من الأرض وسكان القمر وكانت أجواء القمر التي ظهرت شبيهة بالصور المنقولة حالياً عن مركبات الفضاء الدائرة حول هذا الجرم القريب من الأرض.

وتتابعت سلسلة أفلام الفضاء والخيال العلمي فظهر فيلم (الشيء) عام 1936 وفيلم (20 مليون ميل عن الأرض) عام 1957 ثم فيلم (آلة الزمن) اعتماداً على رواية ويلز الشهيرة وقد أخرجه جورج بال عام 1961. تبدأ القصة باجتماع أربعة علماء على مائدة العشاء، ونقاشهم عن البعد الرابع. يخبرهم صديقهم أنه صنع آلة صغيرة تجريبية تمكّنهم من السفر إلى الماضي والمستقبل. عارضه الجميع بأنها خدعة، لكن كانت المفاجأة عندما ينتقل بالفعل إلى المستقبل ويقابل ابنه الذي يخبره أنه توفي هو نفسه في الحرب. وهكذا يسافر بعدها البطل إلى أزمنة مختلفة، مواجها فيها قصصاً عديدة.

وفي عام 1968 أخرج ستانلي كوبريك فيلمه الشهير (2001 أوديةٍ الفضاء) الذي تميز بوصفه أفضل فيلم علمي خيالي أُنتج في الستينيات.

في العام 1953 ظهر فيلم (حرب العوالم) The War of the Worlds ، وهو أول فيلم يجسد إحدى روايات جورج ويلز. والتي كانت تحمل الاسم نفسه أيضاً.

يعتبر الفيلم واحداً من أفضل أفلام الخيال العلمي، وقد حصل على جائزة الأوسكار في المؤثرات الخاصة.

تدور القصة حول حجر نيزكي ضخم يسقط في لوس أنجلوس، ثم تتبعه أحجار أخرى تسقط في أنحاء متفرقة من العالم، ولا يكتشف سكان الأرض الحقيقة إلا بعد فوات الفرصة، عندما يتضح أن هذه النيازك ما هي إلا مركبات لمخلوقات فضائية آتية من المريخ وتخطط لغزو الكوكب. وتستمر مقاومة الأرضيين دون فائدة، وفي آخر الأمر يُهزم الغزاة على وجه غير متوقع من قِبل الفيروسات والبكتيريا المجهرية الكائنة في كل جزء من الأرض .

أُعيد إنتاج الفيلم في فترات أخرى ، وكان آخرها عام 2005 ، بطولة الممثل توم كروز.

أخرج والت ديزني بنفسه في العام 1954، أشهر أفلام الخيال العلمي المقتسبة عن روايات أدبية وهي رائعة جول فيرن (عشرون ألف فرسخ تحت الماء) Twenty Thousand Leagues Under the Sea. وعلى العام الثاني على التوالي فازت أفلام الخيال العلمي بجوائز الأوسكار، حيث فاز هذا الفيلم بجائزتي أوسكار.

أصبح الفيلم بعد صدوره أحد أفلام ديزني الكلاسيكية وأكثرها نضجاً حتى الآن – كما يذكر النقاد – .

تظهر في القصة شخصية الكابتن نيمو الخيالية الشهيرة، والتي استخدمها جول فيرن كذلك في روايته الأخرى (الجزيرة الغامضة). نيمو عالم عبقري، يتجول في أعماق البحار داخل غواصته نوتيلوس. وتحكي القصة عن ظهور وحش بحري يتردد للبحارة في المحيط الهادئ، ويحاول الكابتن نيمو وطاقمه في الغواصة القضاء عليه.

كتب فيرن الرواية الأصلية عام 1870، وعُرض فيلمها السينمائي بعد أكثر من ثمانين عام، فأصبحت بفضل هذا الفيلم واحدة من أشهر قصص الخيال العلمي في العالم أجمع.

وتتابعت الأفلام فظهر (حرب النجوم) Stars War

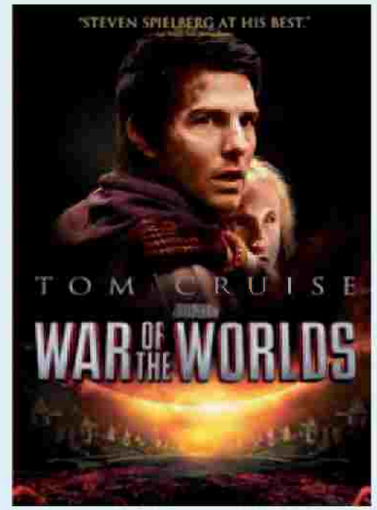

ملصق لفيلم الخيال العلمي (حرب العوالم)

أدب الخيال العلمي عند العرب

هل عرف العرب الخيال العلمي من قبل؟ قد لا يخطر هذا السؤال على بال الكثيرين من الناس، ربما للمسافة الزمنية التي تفصلنا عن الحضارة العربية التي بلغت أوجها في القرن العاشر الميلادي.

والجواب عن السؤال يبدو صعباً لأن الخيال العلمي لم يكن معروفاً عند الناس بهذه التسمية المحدودة. ولو تمت العودة للتاريخ في محاولة سبر الإبداعات في الأدب على اختلاف توجهاته لتبين أن أسطورة (حي بن يقظان) لابن طفيل قريبة من الأدب الذي عُرف منذ أواخر القرن التاسع عشر باسم أدب الخيال العلمي. لأن هذه القصة الأسطورة تحوي مقومات الخيال العلمي بصورة واضحة وتتحدث عن عملية التكوين الإنساني والخلق والمؤثرات الطبيعية، وترسم شكلاً واضحاً لحياة نشأت مع الطبيعة من دون مؤثرات بشرية بصورة غنية بالخيال العلمي.

لم يعرف العرب حديثاً أدب الخيال العلمي إلا في الستينيات حينما نشر مصطفى محمود روايته (العنكبوت) ثم روايته (رجل تحت الصفر) وقد غلب على الأولى الأسلوب الغيبي إذ مزج الكاتب فيها بين القضايا العلمية وقضية تقمص الأرواح. أما الثانية (رجل تحت الصفر) فتمثل عالم القرن الحادي والعشرين عندما تصبح وسيلة النقل فيه صاروخاً يضيِّق الفوارق بين البلدان والمدن والأقاليم، وتسهم كل أمة بقسطها في إغناء الحضارة الإنسانية ويكون الحب هوائياً يكافح القوى المجهولة من حقد وحسد وبغضاء.

وظهرت في السبعينيات محاولات أخرى لنهاد شريف في (قاهر الزمن) وهي رواية تتحدث عن فكرة السُّبات عند لجورج لوكاس الذي تحدث عن احتمال حدوث حرب فضائية، بين الكائنات التي تسكن الكواكب، نتيجة للتطور السريع للعلوم والتكنولوجية، كما ظهر فيلم (لقاء من النوع الثالث) الذي يتحدث عن طبق طائر هبط في منطقة من الأرض وأجرى لقاء مباشراً مع سكانها، كما تحدث فيلم (سولاريس) لأندريه تاركوفسكي عن المشاكل البيولوجية والنفسية التي يمكن أن تحدث لرواد الفضاء. أما فيلم (أصداء من الفضاء) لريتشارد فيكتوريف، وهو من جزأين، فيتحدث عن رحلة فضائية كبرى يقوم بها رواد فضاء شبان صغار مدربون، يتعرضون لمشاكل في اختراقهم الفضاء، وهم يتجهون نحو كوكب في مجموعة (ذات الكرسي) ليساعدوا سكانه في حل المشاكل الخطرة التي يعانون منها. ويتحدث فيلم (E.T) لسبيلبرغ عن مخلوق هبط من الفضاء إلى الأرض يعلم الناس الحب والتسامح والسلام، على الرغم من منظره البشع. وتتابعت أفلام الخيال العلمي حتى أصبحت توجهاً جديداً في الإنتاج، بعد أن كانت محدودة، قبل أن يغزو الإنسان الفضاء ويهبط على القمر عام 1969.

انتقلت العدوى إلى التلفزيون، إذ تنافست شركات الإنتاج في إنتاج مسلسلات تتحدث عن رحلات فضائية إلى عوالم بعيدة، مثل (الغزاة) و(الفضاء عام 1999) و(رحلة النجوم) Star Trek وأغلبها من إنتاج أمريكي بسبب تنافس شركات الإنتاج الأمريكية ضمن هذا التوجه الجديد في رحلات خيالية تشد الناس إلى المستقبل، فينتقلون بأحلامهم إلى عوالم غامضة مجهولة في حكايات قد تبدو خرافية.

وقد نشطت فعاليات الخيال العلمي حتى في الصحافة إذ تنافس الكتاب في نشر القصص والروايات المسلسلة في مجلات متخصصة حتى أن بعض المجلات العلمية اختصت بالخيال العلمي مثل المجلة الأمريكية (مجلة الخيال والخيال العلمي) Magazine of Fantasy and Science Fiction .

الإنسان بتجميد جسده لسنوات ثم إحيائه، وقد تحولت إلى فيلم سينمائي من إخراج كمال الشيخ، ثم مجموعة قصص بعنوان (رقم 4 يأمركم) وهي تلفت النظر بسعة خيال كاتبها ومدى فهمه الدقيق لتطور العلوم، مع أنه يحمل إجازة في التاريخ.

يتحدث نهاد شريف في قصصه عن الإنسان الآلي وإمكانية سيطرته في المستقبل إلى أن يطرد البشر ليستقل بنفسه في إدارة المصانع والآلات، ويتخيل الكاتب أن بوادر الانقراض بدأت تهدد الإنسان الآلي إذ بدأت العاطفة بالتحكم فيه. ويتحدث عن كائنات المريخ العاقلة التي تحذر البشر من خطر تكديس السلاح النووي ومن تمكن العلماء العرب من الوصول إلى كوكب المشتري حيث يقع الرواد في أسر كائنات هلامية، كما يرصد في تلك المجموعة عالم المستقبل الحافل بالمفاجآت العلمية.

وقد ظهرت لنهاد شريف رواية (مردة المجال الثاني) وظهرت محاولات في قصة الخيال العلمي للكاتب رؤوف وصفي. ولطالب عمران عدة قصص من الخيال العلمي، بينها ما هو للأطفال مثل (كوكب الأحلام) 1978 و(محطة الفضاء)، وبينها ما هو للكبار مثل (العابرون خلف الشمس) 1979 و(ليس في القمر فقراء) 1983 و(خلف حاجز الزمن) 1935.

وكما في العالم، نشط المتطفلون على هذا النوع من الأدب في الوطن العربي أيضاً، وقد رأوا فيه مرتعاً لخيالاتهم التي لا تستند إلى أسس علمية، وأخذ بعضهم يدعي انفراده بكتابة مثل هذا النوع من الأدب (مع افتقاره إلى الثقافة العلمية). وكتب بعضهم عن رحلة لمحطة تنجح في الهبوط على كوكب المشتري، وهو كوكب سائل غازي، كما تهبط فوق حلقات كوكب زحل وهي حلقات شفافة تتكون من جسيمات متباعدة وأتربة وحبات برد. وأطلق بعضهم مصعداً خرج من الطابق العاشر في بناية بعشرة طوابق وهبط فوق القمر، كما حلقت فقاعة صابون في داخلها طفلة فوق الأرض لمسافات كبيرة.

مستقبل أدب الخيال العلمي:

لقد اتسع انتشار الخيال العلمي في العالم، وأصبح يفرض نفسه على النماذج الأدبية الجديدة، وهو يعتمد العلم محوراً فاعلاً في أحداثه وأبطاله، ويلجأ بعض الكتاب المتميزين في فن القصة والرواية إلى الاستعانة بالعلماء لكتابة رواية أو قصة من الأدب العلمي، حتى لا يساء إلى هذا الأدب وحتى يتميز العمل الأدبي بمنطقيته العلمية الضرورية.

كما توجه الخيال العلمي مؤخراً إلى الأطفال إذ تخصص بعض الكتاب بكتابة أدب الخيال العلمي الموجه للطفل. وقصة الخيال العلمي قد تكون البديل الحقيقي لكل هذا الركام المطروح على الطفل بطريقة فجة لإدخال العلم بقوالب جامدة إلى رأسه الذي لا يتقبل حشر المعلومات العلمية مما قد يؤدي إلى انصرافه عن العلم أو عدم الاهتمام به. والعلم، كما هو معروف، هو لغة العصر، والدور الحضاري لأية أمة من الأمم لا يكون إلا بالعلم وإبداعاته في مختلف جوانب الحياة.

أيضاً يجب الإشارة أن الخيال العلمي ليس موجوداً فقط في الروايات والأفلام . هذا الأدب موجود أيضاً في الرسم والنحت .

تعالوا نستعرض معكم الكبار الذين بدأ على عاتقهم كل ما نراه اليوم من خيال علمي، سواءً في الأدب أو الأفلام أو الروايات، أو حتى في الابتكارات العلمية والنظريات الفلسفية !

أشهر كتّاب أدب الخيال العلمي

جول فيرن

يُعد جول فيرن من الأشخاص الأوائل الذي كان له الفضل في تأسيس أدب الخيال العلمي وهو من مواليد فرنسا 8 شباط/فبراير 1828.

في بداية الأمر كان مهتم في دراسة البلاغة والفلسفة ودرس الحقوق بعد انتهائه من مرحلة التعليم العالي.

قام بكتابة العديد من الروايات والقصص في أدب الخيال العلمي وكانت أعماله محبوبة جداً لدى الكثير من الناس و في عام 1863 قام بنشر رواية تحت اسم (خمس أسابيع في منطاد) ولاقت إعجاب العديد من الفرنسيين وأكتسب في ذلك الوقت شهرته الواسعة .

توفي في 24 آذار/مارس عام 1905 إثر إصابته بمرض السكر .. معظم أعماله قام بنشرها ابنه بعد وفاته.

هربرت جورج ويلز

هربرت جورج ويلز أديب ومفكّر إنجليزي يُعَدُّ الأبَ الروحي لأدب الخيال العلمي. وُلِدَ ويلز في ضاحية (بروملي) بمقاطعة (كنت) الإنجليزية في عام 1866، وكان الابن الرابع لـ (جوزيف ويلز) الذي كان يملك متجراً لبيع الأدوات الرياضية وأوعية الزجاج الصيني، بالإضافة لكونه لاعبَ كريكيت محترفًا، أما والدة (ويلز) فكانت رَبَّةَ منزل بسيطة، ويمكن القول إنه قد تربَّى ونشأ في أسرة من الطبقة الوسطى.

تعرَّض ويلز في سِنِّ الثامنة لحادث تسبَّب في كسْر ساقه وجعله يلازم الفراش لعدة شهور قضاها في القراءة، فاكتشف عالم الأدب السحري الذي أشعل فيه حب الكتابة، وقد التحق ويلز بمدرسة محلِّيَّة تُدرِّس لطلابها المواد اللازمة لكي يكونوا وكلاء ومساعدين للتُّجَّار، ولكن أصيبت أسرته بضائقة مالية جعلت والده يُخرِجه من المدرسة، ويُلحِقه بائعاً بإحدى متاجر الأقمشة، وهي تجربة قاسية لصبي ضعيف كـ (ويلز)، ولكنه خلَّد هذه التجربة بعد ذلك في رائعته الأدبية (كيبس).

استطاع ويلز أن يُكمِل تعليمه بصعوبة بسبب حياته الأسرية المضطربة وما واجهه من ضائقات مادية، والتي اضطَرَّته أن يتنقَّل بين عدة مدارس مختلفة، حتى حصل على منحة دراسية بمدرسة علمية أشبعت موادها شغفه بالعلوم واللغة اللاتينية وكذلك علم الاجتماع.

نشر ويلز أولى رواياته المسماة بـ (آلة الزمن) عام 1895 ، وقد أحدثت ضَجَّةً كبرى وقتها في الأوساط الثقافية، كما لاقت نجاحاً جماهيريًّا كبيراً، ثم تتابعت أعماله فقدم بعد ذلك (جزيرة الدكتور مورو) و(حرب العوالم) وغيرها، التي وإن كانت أعمالَ خيال علمي كلاسيكية إلا إنها حملت بعضاً من فلسفته وأفكاره، وأظهرت توقعاته لعالم المستقبل، كما كان لويلز أعمال اجتماعية مهمَّة بعدت عن الخيال العلمي مثل رواياته (كيبس) و(آنا فيرونيكا)، وقد عبرت عن الكثير من آراءه الاجتماعية ورؤيته للمجتمع الإنجليزي.

انضم ويلز لجماعة (الاشتراكيين الفابيين) ولكنه سرعان ما تركها بعد أن اختلف مع قادتها البارزين، وبقيام الحرب العالمية الثانية أصبحت وجهة نظر ويلز تجاه مستقبل البشرية أكثر تشاؤماً، وازداد الأمر بعد ما رآه من قمع وديكتاتورية يُمارِسهما الشيوعيون في روسيا.

تُوُفِّيَ ويلز في عام 1946 عن عمرٍ يناهز السادسة والسبعين، بعد أن خلد اسمه في الأدب العالمي بوصفه أحدَ روّاده.

آرثر سي كلارك

آرثر سي كلارك كاتب بريطاني من مواليد 16 كانون الأول/ديسمبر عام 1917 . أشهر كتَّاب الخيال العلمي، وصاحب أكثر الكتب مبيعاً على مستوى العالم، وقد شهد الاحتفال بعيد ميلاده السبعين في ديسمبر عام 1987 إزاحةَ الستار عن لوحة تذكارية له في مسقط رأسه بسومرست. وقد حاز جوائز دولية لا حصر لها عن رواياته وكتاباته العلمية، وعن دوره الملهم باعتباره أحد أبرز متنبئي عصر الفضاء. اشتهر بروايته أوديسا الفضاء 2001 (ملحمة الفضاء 2001) وهو عمل مشترك مع المخرج ستانلي كوبرك لصناعة الفلم الذي يحمل نفس الاسم والذي اعتبر من الأفلام الكلاسيكية المهمة في الخيال العلمي فقد وضع معايير جديدة لأفلام الخيال العلمي. نال شهرة واسعة كمقدم لسلسلة الحلقات التليفزيونية (عالَم آرثر كلارك الغامض)، وحلقات تالية أيضاً.

اهتم منذ صغره بعلوم الفضاء والمجلات التي كانت تتحدث عن هذا المجال .. تنبأ كلارك بدقة الكثير من الأمور التي أصبحت حقيقية وواقعية في وقتنا الحالي مثل: الخدمات المصرفية عبر الإنترنت، والتسويق عبر الإنترنت والكثير من الأمور الأخرى مما يجعل روايته وكتبه كنز ثمين ..

كتب كلارك ما يقارب الـ 100 كتاب متنوعة بين الخيال العلمي والخيال وبعض من الكتب العلمية.

عاش في سريلانكا، وتوفي في 19 آذار/مارس عام 2008 وهو في الـ 90 من عمره .

إسحاق عظيموف

إسحاق عظيموف كاتب وأستاذ كيمياء حيوية أمريكي من أصل روسي من مواليد 2 كانون الثاني/يناير 1920.

هو من قام بوضع القوانين الثلاثة للروبوتات والتي تعتبر القوانين الأساسية والضوابط لبرمجة وصنع الروبوتات وهي كالتالي:

تولستوي

جول فيرن

هربرت ويلز

إسحاق عظيموف

غريغوري بنفورد

كارل ساغان

روبرت هينلين

آرثر سي كلارك

سكوت ويسترفيلد

ماري شيللي

ستانسواف ليم

إدوين إبوت

• لا يجوز لإنسان آلي إيذاء بشري أو السكوت عما قد يسبب أذى له.

• يجب على الروبوت طاعة أوامر البشر إلا إذا تعارضت مع القانون الأول.

• يجب على الروبوت المحافظة على وجوده طالما لا يتعارض ذلك مع القانونين الأول والثاني.

يعتبر عظيموف من أكثر الكتاب غزارة حيث لديه ما يقارب الـ 500 كتاب من أشهر أعماله (سلسلة الأساس). كما قام بشرح المفاهيم العلمية بطريقة تاريخية. كما قام بإضافة بعض المصطلحات إلى اللغة الانكليزية من بينها الروبوتات. توفي في 6 نيسان/أبريل عام 1992.

روبرت هيينلين

روبرت هيينلين كاتب أمريكي من مواليد 7 تموز/يوليو عام 1907 .

واحد من الكتاب الأكثر تأثيراً وإثارة للجدل في الخيال العلمي. كما كان له دور في إدخال بعض الكلمات والمصطلحات إلى اللغة الانكليزية مثل: ، waldo ، grok TANSTAAFL

تخرج هينلين من الأكاديمية البحرية الأمريكية عام 1929 وخدم كضابط بحرية. كما عمل في الاتصالات اللاسلكية في حاملة الطائرات ليكسنغتون USS .

نشر هينلين ما يقارب 32 رواية و59 قصة من أشهر هذه الأعمال (غريب في أرض غريبة).

توفي في 8 أيار/مايو عام 1988 إثر انتفاخ في الرئة وقصور في القلب وهو في الـ 80 من عمره .

سكوت ويسترفيلد

سكوت ويسترفيلد كاتب خيال علمي أمريكي ولد في 5 أيار/مايو عام 1963 بولاية تكساس. حصل على ليسانس الفلسفة من جامعة (فاسار) عام 1985. وبعد أن عمل في مجالي النشر والموسيقى التجريبية، اتجه لكتابة الخيال العلمي للبالغين. يقضي ويسترفيلد حياته الآن متنقلاً بين مدينتي سيدني بأستراليا ونيويورك بالولايات المتحدة.

من أشهر رواياته: (التميزون)،و(القبعاء)،و(الحسان)، و(المغمورون).

إدوين إبوت

إدوين إبوت عالم وأستاذ ومتخصص في اللاهوت ولد في 28 كانون الأول/ديسمبر 1938، نشرت له كثير من المؤلفات، ولكن تبقى (الأرض المسطحة) أشهر مؤلفاته. التحق إبوت في سن الثانية عشرة بمدرسة سيتي أوف لندن، وسرعان ما أظهر تفوقاً، ولا سيَّما في الرياضيات، وحصل عام ١٨٥٧ على منحة من جامعة كامبريدج حيث ركز على الدراسات الكلاسيكية.

منذ ظهورها عام 1884 سحرت رواية (الأرض المسطحة: قصة خيالية متعددة الأبعاد) القراء والعلماء على السواء وبهرتهم بمزجها الإبداعي بين الواقع والخيال، ومع أنها تبدو للوهلة الأولى أداة ذكية لتعليم مبادئ الرياضيات والعلوم، إلا أن النظرة المتعمقة تُظهر أنها تجربة أدبية ممتعة تحفز العقل، وتسخر الرواية على لسان بطلها من المجتمع الفيكتوري الذي كان في ذلك الوقت نهبًا لرياح التغيير.

كانت رواية الأرض المسطحة لمدة تربو على قرن كامل مصدرًا للإمتاع والإلهام ولا زالت حتى الآن تتمتع بمكانتها المستحقة في التاريخ الأدبي والعلمي والفلسفي، وهي تحلق بالقراء في عالم الخيال دون أن يبرحوا أماكنهم.

توفي في 12 تشرين الأول/أكتوبر 1926.

ماري شيللي

أما الأديبة البريطانية الموهوبة ماري شيللي 1797–1851 فهي بحق تعد بجدارة أول رائدة لأدب الخيال العلمي عن طريق روايتها الأشهر فرانكنشتاين أو بروميثيوس الحديث (Frankenstein or Modern Prometheus) التي صدرت عام 1818. وتدور الرواية التي اقتبستها السينما عدة مرات حول الطبيب فيكتور فرانكشتاين الذي يتعرف عليه مستكشف للمنطقة القطبية وهو يسعى للعثور على وحش تمكن من تصنيعه من جثث بشرية وعرضه لتيار كهربائي فدبت فيه الحياة. وقد ألفت مارى شيللى التى تزوجت من الشاعر البريطاني الرومانسي بيرسى شيللى رواية أخرى تنتمي لنفس هذا الجنس الأدبي وهى آخر الرجال (Last Man) التي صدرت في عام 1826. وتدور الرواية حول نجاة شخص واحد من وباء الطاعون الذي اجتاح العالم في عام 2097 بعد تحول النظام الملكي البريطاني إلى نظام جمهوري.

تولستوي

الكاتب ألكساي نيكولايفتش تولستوي 1883–1945، كاتب روائي وقاص ومسرحي روسي. كتب في الخيال العلمي روايته بعنوان سطح المهندس جارين الزائد أو أشعة جارين المميتة سنة 1925. ويذكر أن هذه الرواية تنبأت باختراع أشعة الليزر. انتخب عضواً في أكاديمية العلوم السوفياتية عام 1939. وتوفي في موسكو في 23 شباط / فبراير عام 1945.

ستانسواف ليم

كما لا ينبغي إغفال الطبيب البولندى ستانسواف ليم 1921–2006 الذي ترجمت مؤلفاته إلى 41 لغة وبيع منها ما يزيد على 27 مليون نسخة. ألف في عام 1961 رائعته سولاريس (Solaris) التي حولت إلى فيلمين الأول سوفياتى في عام 1972 من إخراج أندريه تاركوفسكى والثانى أمريكي في عام 2002 من إخراج ستيفن سودربرج. وتنتمي الرواية، إن جاز التعبير، إلى الخيال العلمي الفلسفي. وتحمل الرواية تساؤلات كثيرة عن أثر الوحشة على عقل الإنسان وسلوكه وأثر الظاهرة الطبيعية على الإنسان وهل يستطيع الإنسان أن يواجه ذاته بمخاوفها وضعفها في ظل شعور جارف بالوحدة. وألف ليم في عام 1964 كتابا فريدا بعنوان (Summa Technologiae) في تحليل الآثار الفلسفية المترتبة على التقدم الاجتماعي والتكنولوجي والبيولوجي.

غريغوري بنفورد

غريغوري بنفورد Gregory Benford كاتب خيال علمي أمريكي وعالم فيزياء فلكية في كلية قسم الفيزياء والفلك في جامعة كاليفورنيا في إرفاين، من مواليد 30 كانون الثاني/يناير 1941 في موبيل، ألاباما. في مجال الخيال العلمي، يعد بنفورد واحداً من أفضل الكتاب عن سلسلة رواياته (مركز مجرة ساجا)، والتي تبدأ من محيط ليلة عام 1977. وتفترض هذه السلسلة وجود مجرة تستشف أن الحياة العضوية ستكون في حرب مستمرة مع الحياة الكهروميكانيكية. يعمل بنفورد أيضاً محرراً لمجلة ذا ريزون.

كارل ساغان

كارل إدوارد ساغان Carl Sagan ولد في 9 تشرين الثاني/نوفمبر 1934، وهو فلكي أمريكي من أبرز المساهمين في تبسيط علوم الفلك والفيزياء الفلكية وغيرها من العلوم الطبيعية. وكان له دور رائد في تعزيز البحث عن المخلوقات الذكية خارج الكرة الأرضية.

تعلم الفيزياء في جامعة شيكاغو، عام 1960 حاز على لقب دكتور في علم الفلك والفيزياء الفلكية. قام بالتعليم في جامعة هارفرد، عام1968 . انتقل إلى جامعة كورنيل حيث أصبح أستاذاً جامعياً عام 1971. وقام ساغان بتحرير وتقديم البرنامج التلفزيوني (الكون) الذي شرح فيه علم الفلك. عرض البرنامج في العديد من الدول.

حاز على وسام ناسا (مرتين)، وسام آرستر وجائزة بوليتسر. وعانى ساغان من متلازمة خلل التنسج النقوي وقام بزرع نخاع عظمي ثلاث مرات. ألف رواية تواصل عام 1985 وتم تمثيلها في فيلم عام 1997.

إن أهم ما يميّز ساغان هو إسهاماته الكبرى في تبسيط علوم الفضاء والفلك لعامة الناس، ولعل هذا ما أدى إلى نجاح معظم مؤلفاته وأبرزها: (كوزموس: رحلة شخصية)، و(كوكب الأرض نقطة زرقاء باهتة)، و(بلايين وبلايين)، و(عالم تسكنه الشياطين)، و(حوش جنة عدن). وقد كان ساغان يؤمن بأن الكون يضم حياة أو أكثر خارج إطار كوكب الأرض. وذلك استناداً إلى حجم الكون الهائل، وفكرته ببساطة تقول بأن احتمالية تكّون الشروط الملائمة للحياة في مكان آخر غير كوكب الأرض ممكنة، طالما أننا نتحدث عن كون يضم أعداداً لا تحصى من المجرات والنجوم والكواكب. وكان يؤمن أيضاً بأن الأرقام الأولية عبارة عن أعداد كونية.

توفي في 20 كانون الأول/ديسمبر 1996 بسبب ذات الرئة عن عمر يناهز 62 عاماً.

للعرب خيالهم العلمي
أنطولوجيا قصص الخيال العلمي العربية

بقلم: شوقي بدر يوسف - مصر

من مقدمة الكتاب

على الرغم من أن أدب الخيال العلمي أصبح يمثل الآن نوعاً تقليدياً من الكتابة الإبداعية، ورافداً مهماً من روافد الكتابة القصصية والروائية في أدبنا المعاصر، وأنه أصبح نمطاً من الإبداع له خصوصيته في نسق الكتابة وطريقة التلقي، وفي التوجهات التي يذهب إليها، وفي قدرته الفائقة على الانتشار، إلا أن النظرة الأولية لنسقه الخاص، والطريقة التي تصاغ بها إبداعاته والتي تنطوي على منابع أساسية لا يمكن الاستغناء عنها تكمن في تشكيل هيكله العام، وتحديد خطوطه الأساسية المستمدة من العلم وتكنولوجيا العصر، وهو ما يجعلنا نقول أن الأعمال الإبداعية في هذا النسق من الكتابة قد وطدت أقدامها فى الساحة الأدبية بحيث أصبحت مكتبة أدب الخيال العلمي الآن عامرة بأعمال إبداعية عالمية ومحلية يقبل عليها جمهور القراء في الوطن العربي وفي جميع أنحاء العالم إقبالاً كبيراً، وأصبح هذا الأدب بما جبل عليه من تخيلات ورؤى حلمية وعلمية يطلق عليه أدب التنبؤات أو أدب صناعة الأحلام حيث تحققت كثير من الأحلام والتخيلات التى تنبأ بها هذا الأدب فى بواكيره وبداياته الأولى وأصبحت بالفعل الآن حقيقة واقعة. وأدب الخيال العلمي كنسق وصيغة خاصة فى الكتابة الإبداعية يتكون من ركيزتين أساسيتين وهما المخيلة الأدبية الممتزجة بالحقائق العلمية المجردة والتي يستقي منها الكاتب عناصر التكوين الأساسية لهذا الأدب، والحقائق العلمية ذاتها المستمدة من الطبيعة والواقع والابتكارات والمخترعات والتكنولوجيا الحديثة والممتزجة هي الأخرى بمخيلة الكاتب والمنتجة في النهاية سرداً قصصياً وروائياً من الممكن أن نطلق عليها كما أشرنا صناعة الأحلام أو الأدب التنبؤي أو الإبداع المتخيل العلمي وغير ذلك من المسميات التي تضعه الآن في إطار من الواقعية العلمية إن جاز هذا التعبير. وإذا حاولنا أعطاء هذا النوع من الأدب تعريفاً جامعاً قاطعاً فإنه شأنه شأن بعض الأجناس الأدبية المحكية الأخرى يعتبر من الآداب المراوغة المحيرة الحاملة في بعض الأحيان لجينات الفانتيازيا والخرافة والتخييل المفرط، وإن كانت هناك ثمة محاولات عديدة لتعريفه تعريفاً خاصاً أقرب إلى الدقة بحيث يبلور ملامحه ويحدد ظلال وخطوط شرعيته في الحركة الأدبية المعاصرة. وعلى الرغم من أن جميع التعريفات التي حاولت بلورت ملامحه قد اجتهدت في وضع إطار محدد له، إلا أن أدق تعريف له هو: «أنه جنس أدبي واع تماماً لذاته تمام الوعي يعتمد العلم وواقعيته الطبيعيه من خلال أدبية خاصة به وحده»، وبذلك تكون الطريقة التى عرّف بها هذا النوع من الأدب لها علاقة وثيقة وتكافلية بالطريقة التى يكتب بها، فهو رافد مهم من روافد الكتابة القصصية الحكائية المتوغلة في مسار السرد والغالب عليها المعرفة العلمية التنبؤية المستمدة من كافة محددات العلوم والتكنولوجيا، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن الاتجاهات العلمية التي منحت الإنسانية شيئاً من رؤها وأضاءت الطريق أمامه ليرى العالم بعين المخيلة في ميادين عدة كان العلم والأدب هما طريقاها في هذا العصر، وأن الثورات العلمية في نظرياتها المعروفة عند إينشتين على سبيل المثال، كما هي عند فرويد في مدرسة التحليل النفسي، كما هي عند غيره من العلماء والباحثين والمفكرين، كان أدب الخيال العلمي هو ثمرة تفاعل لهذه الأمور الإنسانية جميعها فقد رسم الإنسان في مخيلته صوراً وأشكالاً عن طريق فروض مسبقة لم تثبتها التجربة في البداية، ولكن خياله لم يقف عند حدود، بل سار في طريقه متحدياً بإرادته ودرجة وعيه ومثابرته وتمرده على الواقع، وكانت الحكاية والصورة والمخيلة هي الدرجة التي تقف عند حدود معينة منذ أرسطو، ومعتقدات السلف المختلفة التي ثار عليها الكثيرين في أوقات عدة، حتى جاء القرن العشرين وكانت معايير الفن والأدب والعلم قد بدأت تتمازج وتتناغم وتخرج لنا فنوناً وعلوماً جديدة لم نألفها قبل ذلك، وأصبحت المخيلة هي الأساس في كل شئ، وكما قال الأستاذ عثمان نويّه في كتابه (حيرة في عصر العلم) إن من الإنصاف لأدباء هذا الجيل في شتى أنحاء العالم أن نحاول فهم مشكلتهم في أناة وصبر وعطف. فإن الجيل الذي نشأ في العشرين عاماً الأخيرة، جيل فريد لم يوجد جيل مثله من قبل في تاريخ البشرية. وقد يكون هذا الجيل أعظم من أى جيل سبقه، لأن التقدم العلمي والتكنولوجي ووسائل التثقيف العصري، والأخذ بالأساليب العلمية الحديثة في تنشئته على الحرية والابتكار، قد هيأت له من النضج السريع ما لم يتهيأ لما سبقه من أجيال. وقد يكون العيب في هذا النضج السريع نفسه، فإن تفتح الوعى قبل الأوان، أى قبل المرحلة الملائمة لتقبل هذا الوعى، قد تضر أكثر مما تفيد، لكن مهما يكن من شأن أدباء هذا الجيل وإنتاجهم الأدبي والفكري، فيجب قبل أن نأخذ في دراسة هذا الإنتاج أن نتدبر بعض الحقائق التي تتصل بأبناء هذا الجيل وبناته، إن كل فتى وفتاة يتراوح عمره بين الثالثة عشر والعشرين، في أي مكان في العالم، يحمل في عظامه عنصر السترونيوم المشع، وهو عنصر من صنع الإنسان ولم يكن لو وجود قبل عام 1945، وإنما وجد بعد هذا التاريخ نتيجة لترسيب الغبار الذري من أثر تجارب تفجير القنابل الذرية في الجو، فهذا الجيل يحمل في عظامه ميسم العصر الذري ويعيش في عصر الالكترونيات، وينطلق إلى الفضاء يستكشفه، ثم يتأهب في ثقة لغزو ما في الكون من كواكب أخرى(ص14) .

إلا أن الجانب الأخر المشع فى خيال الإنسان هو اهتمامه واحتفائه بجانب الخيال في تناول العلم، وما نحلم به ونرفده على واقعنا وفي أوراقنا أحيانا يتحّول بالإرادة والمثابرة والصبر إلى حقيقة واقعة، وهو ما نكتبه أدباً متخيلاً يأخذ من العلم آلية جديدة ومعادلاً موضوعياً يشتغل عليه في كل جانب من جوانب تحقيق حلمه الإبداعي سواء فى مجال الخيال أو في مجال العلم فكلاهما وجهان لعملة واحدة تعمل على تحقيق الخير للبشرية والإنسانية جمعاء.

ولعل هذه المجموعة المنتخبة من القصة العربية القصيرة المحتفية بتأصيل الخيال العلمي في معادلها الموضوعي ومضمونها الأساسي تجسد لنا هذا المشهد السردي الجديد الذي بدأت ملامحه ومعالمه تتضح على الساحة الإبداعية في فنون القصة والرواية في العالم العربي، وقد ظهرت عدة أنطولوجيات للقصة القصيرة جميعها مترجمة من اللغات المختلفة، إلا أننا آثرنا أن تكون هذه المجموعة عربية خالصة تحدد لنا بعض ملامح هذا الأدب في مشهدنا القصصى المعاصر والدور الذى يلعبه في بلورة ما تلعبه القصة القصيرة في هذا المجال الثري المراوغ في أدبنا المعاصر من جانب أدب الخيال العلمي الذي يمثل رافداً ليس بجديد على الأدب العربي ولكنه رافد له خصوصيته كما له دوره الفعال في إثراء أدبنا العربي بالعلم والأدب متفاعلان ومتمازجان في عالم يحتاج إلى مثل هذا التناغم والتمازج الإبداعي الآن.